وما تخلف أقلامهم من بيان وإرشاد وتقى وصلاح .

* * *

وخلال السنين الأخيرة قام فى العالم العربى شعور بإحياء مفاخر الأجداد والاحتفال بأعياد مولدهم ووفاتهم ، تقليداً للغرب ، وذكرى مرور ألف عام على هذه الأحداث . وكان فى الظن أن تكون رثاء خالصاً وأسفاً عميقاً لفقدهم . ولكن الرثاء انقلب إلى تكريم ومديح فدخل فى هذا الباب من أقوالهم ما نعده فى مدح العلماء والكتاب ، وأصبح لزاماً أن نعرض لهذه الحفلات بكلمة موجزة نبين فيها هذا اللون من القول . وقد أقام العرب حفلات للمتنبى والمعرى وابن سينا وغيرهم ، وأرسلوا فى هؤلاء من الشعر والنثر ما يحسن أن يكوّن صفحة جديدة لهذا الباب فامتدح الشعراء فى أبى العلاء عمق التفكير وسمو التعبير ، وعيشه المتواضع بعيداً عن لذة المرأة ، فقال فيه محمد مهدى الجواهرى وشفيق جبرى وبدوى الجبل ومحمد البزم . وقد رسم محمد البزم ثورته على الملوك ، ويقظة العروبة فى ديوانه فقال .

مَلأْتَ خيَاشيمَ العُرُوبَة نَعْرَةً تنوحيّة يُزهى بها من تخامرُهْ
وسَعّرت فى أحشائها الوَقْد للّذى يردّ لها عرباءها لا تناظرُهْ

وترى أنهم مدحوه كأنه حىّ يسمع نشيدهم وقصيدهم ، فبرهنوا على معرفة وذكاء ، وقالوا ما لم يقله القدماء ، فأنشأوا فى شعرهم ما يقوله الناثرون فى نقد الأديب وتعريف أدبه ، وأعادوا على المعاصرين عهد عكاظ فى التنافس على غرض واحد ؛ فافتخروا بالتراث الذى يملكون من فكر قوى وأسلوب عظيم ، واستطاعوا أن يجدوا فى العصامية عند المتنبى وطموحه مجالات للقول ، اشترك فيها شعراء العراق ومصر والشام ، وكتّابهم ، والمستشرقون كذلك ؛ فعشنا كأننا فى الغرب نقيم الحفل للتكريم والدراسة ، ونصنع ما صنعوا ، فنطبع آثارهم ونحيى كتبهم ونوزعها فى المثقفين لبيان الفضائل والمزايا ، فكانت ثروة جديدة